دراسات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [2.32].

العلاقات العُمانية اليمنية في ضوء النضال العُماني ضد الاحتلال البرتغالي خلال فترة حكم الإمام سلطان بن سيف اليعربي ١٠٥٩–١٠٩٠ هـ/ ١٦٤٩–١٦٧٩م

د. أحلام بنت حمود الجهورية
مديرة مختصة للدراسات الوثائقية
هيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية
مسقط – سلطنة عُمان

مُلَخّص

قام الإمام سلطان بن سيف اليعربي (١٠٥٩–١٠٩٠هـ/١٦٤٩–١٦٧٩م) بدورٍ مهمٍ وحاسمٍ في إنهاء الاحتلال البرتغالي على بعض أجزاء السواحل العُمانية، كما تتبع البرتغاليين في سواحل اليمن والمحيط الهندي. وكان لهذا النضال أثره على العلاقات العُمانية اليمنية؛ لاعتبارات كثيرة يأتي على رأسها الموقع الجغرافي الاستراتيجي المهم الذي تتقاسمه عُمان واليمن. وقد تزامن حكم اليعاربة في عُمان مع حكم أئمة الزيدية في اليمن عُمومًا، كما تزامن حكم الإمام سلطان بن سيف اليعربي في عُمان مع حكم الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم (١٠٥٤–١٠٨٧هـ/ ١٦٤٤–١٦٧٦م) في اليمن، وخلفه في حكم اليمن الإمام أحمد بن الحسن بن القاسم (١٠٨٧–١٠٩٢هـ/ ١٦٧٦–١٦٨١م). من هذا المنطلق تهدف هذه الدراسة إلى توضيح العلاقات العُمانية اليمنية في ضوء النضال العُماني ضد الاحتلال البرتغالي خلال فترة حكم الإمام سلطان بن سيف اليعربي والإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم الزيدي، من خلال قراءة تاريخية تحليلية في ضوء ما جاء في بعض المصادر العُمانية واليمنية. ومن خلال استقراء وثيقة تاريخية مهمة تتمثل في رسالة أُرسلت في عام ١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م، من الإمام سلطان بن سيف اليعربي إلى الإمام إسماعيل بن القاسم بن محمد، وهي بحوزة هيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية تحت الرمز المرجعي: OM.NRAA.A.1.2.1(1)، ومقارنتها بالرسالة التي أوردها المؤرخ اليمني ابن الوزير (ت: ١١٤٧هـ/ ١٧٣٤م) في كتابه: تاريخ طُبُق الحلوى وصحاف المنّ والسلوى، والمعروف بتاريخ اليمن، وما ذكره بشأنها المؤرخ العُماني نور الدين السالمي (ت: ١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م) في كتابه: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان. تتضمن الدراسة مقدمة ومبحثين وخاتمة. يركز المبحث الأول على رصد وتحليل بعض ما أوردته المصادر العُمانية واليمنية حول العلاقات بين عُمان واليمن في فترة النضال العُماني ضد الاحتلال البرتغالي. والمبحث الثاني يتناول العلاقات العُمانية اليمنية في ضوء جهود الإمام سلطان بن سيف اليعربي في إنهاء الاحتلال البرتغالي على عُمان. أما الخاتمة فتتضمن مناقشة أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث:	١٠	فبراير	٢٠٢٥
تاريخ قبـول النشـر:	٠٣	أبريل	٢٠٢٥

كلمات مفتاحية:

عُمان؛ اليمن؛ الإمام سلطان بن سيف اليعربي؛ الاحتلال البرتغالي؛ تاريخ الخليج العربي

معرِّف الوثيقة الرقمي: 10.21608/kan.2025.359493.1209

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

أحلام بنت حمود الجهورية، "العلاقات العُمانية اليمنية في ضوء النضال العُماني ضد الاحتلال البرتغالي خلال فترة حكم الإمام سلطان بن سيف اليعربي (١٠٥٩-١٠٩٠ هـ/١٦٤٩-١٦٧٩م)"-دورية كان التاريخية-السنة الثامنة عشرة-العدد الحادي والسبعون: سبتمبر ٢٠٢٥. ص ٧٦ – ٩٢.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique
Corresponding author: ahlam.wah2017@gmail.com
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَوريةُ كَان التَّاريخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةٌ

تأثرت عُمان واليمن بتزايد النفوذ البرتغالي في المحيط الهندي وتعاظم نمو امبراطوريتهم البحرية في القرن السادس عشر الميلادي. وقعت السواحل العُمانية تحت الاحتلال البرتغالي المباشر منذ عام ١٥٠٦م، أما اليمن فتعرضت لتبعات الاحتلال البرتغالي المباشر للسواحل العُمانية ومحاولة عدة قوى بسط نفوذها عليها كنتيجة للسيطرة البرتغالية على الطرق التجارية المهمة، فتعرضت اليمن للتوسع المملوكي على ساحل البحر الأحمر في عام ١٥١٥م، وأعقب ذلك هجوم العثمانيين على اليمن لسببين رئيسيين: ثروات اليمن وموقعها الاستراتيجي، ومقاومة الحصار البرتغالي الذي فرض على طرق التجارة إلى الهند. استطاع أئمة اليمن من الزيديين النجاح في طرد العثمانيين من الموانئ الداخلية وذلك في عام ١٠٤٥هـ/ ١٦٣٦م، كما استطاع العُمانيون بقيادة الإمام ناصر بن مرشد اليعربي (١٠٣٤-١٠٥٩هـ/١٦٢٤-١٦٤٩م) طرد البرتغاليين من أغلب المدن الساحلية العُمانية ولم يبق في أيديهم إلا مسقط التي نجح في تحريرها الإمام سلطان بن سيف اليعربي في عام ١٦٥٠م[١]. وتمكن العُمانيون من بناء أسطول بحري قوي قام بتتبع فلول البرتغاليين في الخليج وبحر العرب والبحر الأحمر والمحيط الهندي، ولم يكن للزيديين هذه القوة البحرية التي تمتع بها العُمانيون[٢].

تولى الإمام سلطان بن سيف بن مالك اليعربي الحكم بعد مبايعته بالإمامة خلفًا للإمام ناصر بن مرشد اليعربي الذي تُوفى في عام (١٠٥٩هـ/ ١٦٤٩م) وحكم لمدة ٢٦ عامًا، استطاع الإمام ناصر بن مرشد توحيد عُمان وطرد البرتغاليين من سواحلها، ولم تبق في أيدي البرتغاليين سوى مسقط[٣]. كان الإمام سلطان بن سيف-قبل توليه الإمامة- واليا وقائدًا عسكريا للإمام ناصر بن مرشد اليعربي[٤]، وهو ابن عمه، وزوج ابنته نصرى. بويع الإمام سلطان بن سيف اليعربي في اليوم الذي تُوفى فيه الإمام ناصر في يوم الجمعة ١٠ ربيع الآخر سنة (١٠٥٩هـ/ ٢٢ أبريل ١٦٤٩م)[٥].

قام الإمام سلطان بن سيف اليعربي بمواصلة الدور الذي بدأه الإمام ناصر بن مرشد في إنهاء الاحتلال البرتغالي، وتلقب بلقب: المعتصم بالله المتوكل عليه[٦]، حيث يبدأ مراسلاته بهذا اللقب الذي يحمل بعدً دينيًا يتمثل في الجهاد ضد المحتل الخارجي والمتمثل في البرتغاليين. وتمكن الإمام سلطان بن سيف من طرد البرتغاليين من آخر معاقلهم في مسقط في عام ١٦٥٠م[٧]، ولم يقف دوره الجهادي النضالي المقاوم عند هذا الحد، حيث تتبع فلولهم في المحيط الهندي والبحر الأحمر وهذا يعني أنه نقل المعركة ضد البرتغاليين إلى خارج حدود عُمان، وبالتحديد إلى الحدود اليمنية حيث كان الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم الزيدي (١٠٥٤-١٠٨٧هـ/ ١٦٤٤-١٦٧٦م) على رأس السلطة السياسية في اليمن، وكان لهذه السياسة العُمانية ضد المحتل البرتغالي نتائج وآثار على العلاقات العُمانية اليمنية.

وبالانتقال إلى الجانب اليمني، فكما أشرنا آنفًا كان على رأس السلطة السياسية الإمام إسماعيل بن القاسم بن محمد الملقب بالمتوكل على الله، وتولى الحكم في عام (١٠٥٤هـ/ ١٦٤٤م) بعد وفاة أخيه الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم في رجب من عام ١٠٥٤هـ حيث طلب البيعة لنفسه[٨]. وفي عهده شهدت اليمن رخاءً واستقرارًا، حيث تم جلاء العثمانيين عن البلاد وقام الإمام إسماعيل بإحكام سيطرته على مناطق جنوب اليمن، ففي عام (١٠٥٥هـ/ ١٦٤٥م) سيطر على عدن ولحج، وفي عام (١٠٦٩هـ/ ١٦٥٨م) دخل حضرموت، واستطاع بذلك توحيد اليمن شمالاً وجنوبًا[٩]. كما شهدت اليمن اهتماما علميا في عهده[١٠]، وفي ذلك يقول المؤرخ ابن الوزير (ت: ١١٤٧هـ/ ١٧٣٤م): "اتفق في دولة المتوكل من تعظيم العلماء ما لم يحدث في غيرها فعكفوا على التصنيف ومال أكثرهم إلى نشر العلم"[١١]. توفى الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم في سنة (١٠٨٧هـ/ ١٦٧٦م)[١٢]، وخلفه في الحكم ابن أخيه الإمام أحمد بن الحسن بن القاسم بن محمد (١٠٨٧-١٠٩٢هـ/ ١٦٧٦-١٦٨١م)[١٣].

أولاً: المصادر العُمانية واليمنية (رصد وتحليل)

إن المصادر التاريخية العُمانية -بصفة عامة-التي استهدفت هذه الفترة التاريخية موضوع البحث، لم تقدم الكثير من المعلومات حول عهد الإمام سلطان بن سيف اليعربي، وجهوده الكبيرة في ملاحقة البرتغاليين. ولنبدأ مع كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار[١٤] الأمة للأزكوي (ت: ق١٢هـ/ ١٨م)، حيث يورد أخباراً مقتضبة عن فترة حكم الإمام سلطان بن سيف اليعربي، ومما ذكره في حروبه ضد البرتغاليين: "فقام بالعدل وشمر وجاهد في ذات الله وما قصر ونصب الحرب لَمَنْ بقي من النصارى بمسكد[١٥] وسار عليهم بنفسه حتى نصره الله عليهم وفتحها له ولم يزل يجاهدهم أينما يجدهم في بر وبحر، فاستفتح كثيراً من بلدانهم وخرب كثيراً من مراكبهم وغنم كثيراً من أموالهم فقيل إنما بنى القلعة التي بنوى من غنيمة الديو[١٦]"[١٧]. أما كتاب قصص وأخبار جرت في عُمان لمحمد بن عامر المعولي (ت: ١١٩٠هـ/ ١٧٧٧م)، فيورد نفس الأخبار التي أوردها الأزكوي عن الإمام سلطان بن سيف اليعربي مع بعض التغييرات لفظاً[١٨]. أما كتاب الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين لابن رُزيق (ت: ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م)، فقدم الكثير من التفاصيل حول تحرير مسقط في عهد الإمام سلطان بن سيف اليعربي، فأورد معلومات حول الاستعداد للمعركة وتوقيتها[١٩]؛ لكنه لم يورد أية معلومات حول العلاقات العُمانية اليمنية، أو أية مراسلات متبادلة بين الإمام سلطان بن سيف اليعربي وأئمة اليمن، ولم يورد كذلك معلومات حول معارك العُمانيين مع البرتغاليين في البحر الأحمر.

إن أبرز من تحدث عن هذه الفترة التاريخية باستفاضة هو المؤرخ العُماني نورالدين السالمي (ت: ١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م) في كتابه: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، حيث استطرد الإمام السالمي في الحديث عن فترة حكم الإمام سلطان بن سيف اليعربي وتتطرق للكثير من الجوانب ومنها جانب مهم، تمثل في العلاقات العُمانية اليمنية وأورد نموذجاً من المراسلات المتبادلة بين الإمام سلطان بن سف اليعربي والإمام إسماعيل بن القاسم الزيدي[٢٠].

وبصفة عامة فإن المصادر التاريخية العُمانية لا تورد الكثير فيما يتعلق بجهاد العُمانيين ونضالهم ضد الاحتلال البرتغالي. ونشاطر الرأي ما ذهب إليه محقق كشف الغمة عبد المجيد القيسي بقوله: "ما يؤسف له أشد الأسف أن المؤرخين العُمانيين لم يكتبوا لنا أخبار حروب الإمام سلطان مع البرتغال بالتفصيل الواسع الذي اعتادوا أن يكتبوا به معاركهم القبلية المحلية، فمما لا شك فيه أن إجلاء البرتغال عن شبه جزيرة العرب على يد هذا الإمام الهمام كان مفخرة قومية وعملاً رائعًا، وكان نقطة تحول هامة في تاريخ المنطقة. وقد اختلف المؤرخون في تاريخ جلاء البرتغال عن مسقط فبعضهم يرتفع به إلى عام ١٦٥٨م وبعضهم ينزل به إلى عام ١٦٤٥م. على أن المتواتر أن عام الجلاء هو عام ١٦٥٠م"[٢١]. ويمكن تعليل ذلك إلى السبب الذي ساقه الإمام نورالدين السالمي في تحفته حيث ذكر أن علماء عُمان أهملوا التاريخ اشتغالاً بالأهم[٢٢].

أما مصادر التاريخ اليمني فتشير إلى الكثير من التفاصيل التي توثق أحداث متنوعة من التاريخ العُماني، وفي بعضها تفاصيل لم تتطرق لها المصادر العُمانية. كما أن المصادر اليمنية وثقت جوانب مختلفة من العلاقات التاريخية بين عُمان واليمن[٢٣]. وتكمن أهمية بعض المصادر اليمنية في معاصرتها للأحداث التي تضمنتها، ويأتي على رأس تلك المصادر أهميةً كتاب المؤرخ اليمني يحيي بن الحسين بن القاسم (ت: ١١٠٠هـ/ ١٦٨٩م)، وعنوانه: بهجة الزمن في حوادث اليمن[٢٤]. ولهذا المؤلف مخطوطة وحيدة بخط المؤلف في مكتبة جامع صنعاء، ومن هذا المصدر الرئيس تم تحقيق أجزاء منه في مصنفين بعنوانين مختلفين استهدفا جزء من المادة التاريخية في الكتاب الأصلي للمؤلف يحيي ابن الحسين، وهما: يوميات صنعاء في القرن ١١هـ، وكتاب: تاريخ طُبُق الحلوى وصحاف المن والسلوى[٢٥] لعبد الله بن محمد الوزير[٢٦].

ويُعَدّ هذا المصدر على درجة عالية من الأهمية فمؤلفه: يحيي بن الحسين بن القاسم (ولد: ١٠٣٥هـ/ ١٦٢٥م) وهو ابن أخ الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم

(١٠٥٤-١٠٨٧هـ/ ١٦٤٤-١٦٧٦م)، وحفيد الإمام القاسم بن محمد. وقد تلقى العلم على يد مشاهير علماء عصره، وبالرغم من التنافس الذي كان قائمًا بين مراكز القوى من أبناء الأسرة وغيرهم سواءً كان على الإمامة أو على تولي بعض المناطق المهمة، إلا أن يحيي بن الحسين كان بعيدًا عن هذا التنافس، ولم يدخل في شيء من ذلك، واهتم بالعلم مكتفيًا بالوظيفة التي أوكلها إليه عمه الإمام المتوكل إسماعيل، وهي جباية جزية اليهود في صنعاء، حيث لزم هذه الوظيفة حتى وفاته[٢٧].

كما تظهر أهمية هذا الكتاب في معاصرة صاحبه للأحداث فكان شاهد عيان للكثير من الأحداث التي ضمَّنها في كتابه. كما يُعد يحيي ابن الحسين أبرز المؤرخين اليمنيين في القرن السابع عشر الميلادي ومن أكثرهم اعتدلاً على الاطلاق، رغم أنه من الأسرة الزيدية الحاكمة، ورغم أن عصره كان عصر التعصب للأئمة الزيديين، وعصر انتصار هؤلاء الأئمة وامتلاكهم لمقاليد الأمور في اليمن[٢٨]. وأهم المؤلفات التاريخية لابن القاسم، والتي اعتمد عليها من جاء بعده من المؤرخين:

١. العبر في أخبار من مضى وغبر: تناول فيه المؤرخ الفترة السابقة للإسلام.
٢. أنباء الزمن في تاريخ اليمن: تناول الفترة قبل خروج العثمانيين الأول من اليمن سنة (١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م).
٣. بهجة الزمن في حوادث (أو تاريخ) اليمن: تناول الفترة منذ خروج العثمانيين (١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م)، حتى بداية عصر صاحب المواهب سنة (١٠٩٩هـ/ ١٦٨٦م).

ويتضح من المؤلفات الثلاثة السابقة حرص ابن القاسم على التسلسل الزمني فيها. وبالعودة إلى الكتاب الثالث: بهجة الزمن في حوادث اليمن، فيتضمن ثلاثة أجزاء، الجزء الأول يتضمن أحداث الفترة (١٠٤٦-١٠٨٠هـ/ ١٦٣٦-١٦٦٩م)، والجزء الثاني يتضمن أحداث الفترة (١٠٨١-١٠٩٠هـ/ ١٦٧٠-١٦٧٩م)، أما الجزء الثالث فيتضمن أحداث الفترة (١٠٩١-١٠٩٩هـ/ ١٦٨٠-١٦٨٨م).

وتتركز التفاصيل المهمة الخاصة بالتاريخ العُماني في كتاب بهجة الزمن في حوادث اليمن في الفترة بين عام (١٠٥٢هـ/ ١٦٤٢م) وعام (١٠٩٠هـ/ ١٦٧٩م) وهذه الفترة تأتي بعد عامين من تولي الإمام سلطان بن سيف اليعربي حيث تولى الحكم في عام ١٠٥٠هـ/ ١٦٤٠م وتنتهي بعام وفاته في (١٠٩٠هـ/ ١٦٧٩م)، كما أن هذه الفترة التاريخية تكاد تطابق فترة حكم الإمام اليمني المتوكل إسماعيل بن القاسم (١٠٥٤-١٠٨٧هـ/ ١٦٤٤-١٦٧٦م) والذي توحدت في عهده الأراضي اليمنية[٢٩].

ويمكن استخراج بعض المادة التاريخية الخاصة بالنضال العُماني ضد الاحتلال البرتغالي من كتاب يوميات صنعاء في القرن ١١هـ، نرصد بعضًا منها، كالآتي:

- "وفيها (١٠٥٢هـ/ ١٦٤٢م): خرج جماعة تجار من الحسا والبحرين والبصرة من البحر الفارسي، فلما عارضوا بندر مسكت الذي بيد الفرنج يومئذ انتهبوهم وقتلوهم فانقطع المار في ذلك البحر الزخار حتى استولى على بندر مسكت العُماني كما سيأتي تاريخه إن شاء الله وسلك الناس في البحار وأمنوا فيه من أولئك الكفار الأشرار"[٣٠].
- "وفيها (١٠٥٤هـ/ ١٦٤٤م): جاء الخبر أن العُماني الخارجي الإباضي ملك بندر مسكت الذي في سواحل بلاده، وأخذه عن يد الفرنج واستولى عليه بجميع أطرافه، قال الرواة: وكان دخوله على صفة المكر والخديعة والحيلة والمكيدة، وذلك أنه أمر جماعة في صورة دراويش إرسالاً فلما اجتمعت في مسكت وخفي أمرهم وسكت، فتكوا في الرتبة من النصارى وذبحوهم بالسكاكين حتى صارت دماؤهم تجري، وملكوا القلعة وأحكموا الفعل والصُنعة. قال الرواة: وهذه القلعة لا يمكن فتحها بالعنوة لحصانتها ومعاصر جبلها في بحرها في مدخلها ومخرجها، ومن يومئذ أمن التجار في البحر الذين يخرجون من البحرين والعراق والعجم إلى اليمن"[٣١].
- أحداث عام (١٠٧٠هـ/ ١٦٥٩م): "وجاء الخبر مع الواصلين من حضرموت: أن صاحب عُمان جهز جماعة من عسكره إلى بلاد ظفار باستدعاء جعفر بن عبد الله الكثيري لهم"[٣٢].

- "وفي شهر المحرم منها (١٠٧٨هـ/ ١٦٦٧م): جاءت أخبار أن الفرنج طاشت في البحر إلى حدود مسكت بجهة عُمان ثم انصرفوا"[٣٣].
- "وفي هذا الشهر (رمضان ١٠٧٨هـ / ١٦٦٧م): جاء خبر العُمانيين أنه خرج جماعة منهم في غربانهم وبراشهم إلى باب المندب، وزعموا أنهم يريدون الفرنج حتى خرجوا بالبر، وكان يومئذ قد خرج أوائل الموسم من الهند فمر عليهم من المسلمين من الهند فلم يعترضوهم، ثم لما خرج إليهم الفرنج ببضاعتهم يريدون المُخا فوقع بينهم قتال استولوا على بعضهم وبقوا هنالك في المندب قريب ثلاثة أشهر ثم عادوا بلادهم"[٣٤].
- "وفي غرة ذي الحجة من عام (١٠٧٩هـ/ ١٦٦٩م): "تعرّض العُمانيون بسواحل عدن والمُخا وسدوا باب المُخا وصدوا عن المنتهى، وانتهبوا من بابه ثلاث جلاب كانت واصلة للفرنج في باب فرضة المُخا وقتلوا منهم جماعة، وانتهبوا الذي معهم وساقوه إلى بلادهم، وكان جملة العُمانيين قدر سبع براش (سفن)، وطلب السيد زيد بن علي الغارات من زبيد وغيره مما يقرب إليه من الجهات ظنًا أنهم يقصدون المُخا ولم يكن لهم قصد إلا في الفرنج لما بينهم من الحروب فيما مضى، وكتب السيد زيد أيضًا إلى الإمام من ضوران ولده عليًا ومن حضر من العسكر فساروا إلى المُخا ووصلوا وقد عاد العُمانيون ورجعوا بعد ما محقوا في البحر ونهبوا"[٣٥].
- "وفي نصف رمضان منها (١٠٧٢هـ/ ١٦٦٢م): خرج جماعة من الفرنج من سواحل الهند من النصارى في غرابين أو ثلاثة إلى ساحل عدن فمنعوا المار إلى المُخا من التجار والجلاب معاندة للسيد زيد بن علي بن جحاف صاحب المُخا لما ضاررهم العام الأول وصدوا المراكب إلى عدن. فجهز السيد زيد عليهم جماعة من عساكره ومدفعين معهم من مدافعه فرموا عليهم أول حجر بالمدفع فحرّق البارود عليهم بحريقه الجلبة الذي هم فيها واتصل الحريق بهم وغرق بعضهم وافتض المدفع عليهم. ورماهم الفرنج فقتلوا منهم وأسروا بعضهم وانتهبوا سلاحهم"[٣٦].
- "وفي آخر شهر رجب منها (١٠٧٣هـ/ ١٦٦٣م): تغلب أهل بلاد ظفار حضرموت على الأمير خلف العُماني وأزالوا دولته من ذلك الأفق القاصي، بعد أن كان قد دخل في ممالك العُماني، وظفار هذا وبلاده متوسطا ما بين حضرموت وبين عُمان، المسافة برا من حضرموت إليه عشرون يوما ومثلها برا إلى عُمان فقتلت قبائله من أصحاب الأمير خلفا المتولي للعُماني قدر أربعين نفسًا، كان أرسلهم من ظفار إلى البلاد لبعض المطالب فحاربوهم في الطريق وتربصوا لهم في المكان الضيق وقتلوهم وقصدوا ظفار، فاحتال خلف بالفرار وركب البحر وسار، وكان قد ترك له مدفعين فيها لم يتمكن من حملها، ودخله محمد بن جعفر الكثيري، وحوّل الخطبة للإمام بعد أن كان قد خطب له في تلك الأيام، وزالت دولة العُماني عنه بالكلية، حكى لي من كان حاضرًا في بلاد الحاكم العُماني حال هذه القضية في تلك النواحي، فقال: قال العُماني المسمى سلطان بن سيف أن قبضنا لظفار بإرسال أميرنا خلف ليس لرغبة منا إليه، ولا بغى عليه وإنما هو سبب استدعاء صاحبه الكثيري ولقد لزمنا لمن فيه نفقاتهم وأزوادهم وما يحتاجونه مدة بقائهم، ولم يدخل علينا منه شيء بل مجرد الإنفاق، ولا مصلحة أتتنا من تلك الآفاق فلا رغبة لنا فيه ولا غرض ننافس عليه"[٣٧].
- في عام (١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م): "وكان هذه الأيام حال خروج عُمان إلى باب المُخا قد طاش بعض جلابهم إلى حدود بندر جازان ودخلوه واستقوا منه وهرب عنه أهله حال دخولهم نحوه، وكان سبب وصولهم إلى هنالك أنهم تبعوا مركب بايزيد صاحب الديو لما بلغهم أنه جاوز المُخا إلى جدة فلم يظفروا به لتقدم مروره ورجعوا وبايزيد توفي بجدة كما روى"[٣٨].
- (١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م): "وفي نصف هذا الشهر (شعبان): جاء الخبر أن الفرنج لما خرجوا في الشهر الماضي إلى سواحل بلاد الحاكم العُماني كما سبق ووقع منهم فيه ما وقع فساروا إلى البحر ورجعوا يريدون استخراج أصحاب الحاكم العُماني وراءهم في البحر فصدقت حيلتهم في ذلك ولحقهم أصحاب الحاكم العُماني في البحر، فلما توسطوا

فيه وخرجت لهم زيادة من بلادهم فوقع الحرب والمقاتلة والمراماة والمصادمة فقتل من الفريقين كثير جدا حتى قذف البحر بالقتلى إلى ساحله ثم انعطف الفرنج على العُمانيين مع ما جرى لهم من الزيادة من بلادهم فقتلوا منهم قتلا كبيرا يقال قدر مائتين أو أكثر وانهزموا إلى بلادهم، والفرنج رسوا في البحر ومازالوا يهيجون فيه ويجولون إلى آخر هذا العام وكان خروجهم إلى المُخا"[٣٩].

- وفي شهر محرم (١٠٨٨هـ/ ١٦٧٧م): "وصل كتاب تعزية من أبي العرب سلطان بن سيف بن مالك اليعربي صاحب بلاد عُمان إلى محمد بن المتوكل في والده، مضمونه: أنه بلغه وفاة والده، صدّره وذكر فيه أنه بلغه قيامه في مرتبة والده وأنه استخلف خليفته ووصى في أصحابه الذين يخرجون بالبضائع العُمانية بالرعاية، فأجاب عليه محمد بن المتوكل بجواب التعزية وذكر له أن الأمر صار إلى أحمد بن الحسن"[٤٠].

أما كتاب طُبق الحلوى لابن الوزير، فيذكر الكثير من الحوادث الخاصة بعُمان[٤١]، ويمكن أن تتطابق تلك النصوص بما ورد في كتاب يوميات صنعاء في القرن ١١هـ، على اعتبار أن ابن الوزير نقل عن ابن الحسن مع بعض التغييرات الطفيفة. والفارق بين الكتابين، أن محقق يوميات صنعاء ركز على استخراج النصوص ذات الطابع الاجتماعي (الإنساني- السياسي) من المخطوطة الأصلية (بهجة الزمن في حوادث اليمن)، في حين أن ابن الوزير ركز على استخراج الجوانب السياسية.

ومن النصوص التي جاءت في كتاب ابن الوزير والخاصة بعُمان نذكر الآتي:

- "وفي هذا العام (يقصد ١٠٥٢هـ/ ١٦٤٢م) تجهز جماعة للتجارة من الحساء والبحرين والبصرة وعبروا البحر الفارسي، فلما عارضوا بندر مسكت، وكان يومئذٍ بيد الفرنج. انتهبوهم فخاف بعد ذلك المارة، وانقطع العبور عن البحر الزخار، إلى أن استولى العُماني على بندر مسكت كما سيأتي تاريخه، فسلك الناس في البحار، وأمن التجار، من أولئك الفجار"[٤٢].
- "وفيها (١٠٥٥هـ/ ١٦٤٥م[٤٣]) ملك صاحب عُمان الخارجي الإباضي بندر مسكت الذي في سواحل بلاده، وكان في أيدي الفرنج، وما كان يظن استيلاءه عليه، ولكنه دب بالحيلة إليه بأن أنفذ إليه جماعات في قالب الدراويش فلما علم أنهم قد صاروا أنصابًا لرتبة القلعة، أمرهم بالفتك بمن فيها بسكاكين معدة معهم ففتكوا بمن في القلعة عن آخرهم، ولما توجهت إلى نظره أمن التجار الذين يخرجون من البحرين والعراق إلى اليمن"[٤٤].
- "ودخلت سنة أربع وستين وألف (١٠٦٤هـ/ ١٦٥٣م) فيها خطب بدر بن عمر الكثيري صاحب حضرموت والشحر وظفار للإمام، فقبض عليه ابن أخيه بدر بن عبد الله بن عمر، وكبراء دولته، وخلعوه عن الأمر، ووضعوه في الحديد، وأطالوا له الزجر والتهديد، ونصبوا ابن أخيه في دسته، وأقاموه في تحته، وحين بلغ الإمام ما صنعوه هم بالتجهيز عليهم، وقدم الرسائل إليهم"[٤٥].
- "وفي ذي الحجة (١٠٦٨هـ/ ١٦٥٨م) ثار السلطان جعفر بن عبد الله بن عمر الكثيري على عمه بدر بن عمر، فخرج من حضرموت إلى ظفار، وجمع جموعًا وقصد بها عمه، فقتل ولده وطرده واستولى على ظفار، وما إليها وذكر أن ذلك بعناية وسعاية من أخيه صاحب حضرموت"[٤٦].
- ١٠٧٢هـ/ ١٦٦٢م: "خروج الفرنج إلى ساحل عدن"[٤٧].
- "وفيها (١٠٧٧هـ/ ١٦٦٦م) أُخبر تجار عُمان الواصلون إلى اليمن، إنه قد برز أمر السلطان صاحب القسطنطينية بالتجهيز على حسين باشا صاحب البصرة"[٤٨].
- "وارتفعت الأسعار بطريق مكة هذه السنة (١٠٧٧هـ/ ١٦٦٦م) وعدم المطر في المشارق، فرحل أهلها عنها وقل في غيرها واتصل القحط ببلاد العجم وفارس حتى أن بعضهم باع ولده في سد رمقه، فتفرقوا في البلاد وألجأهم الحال إلى دخول عُمان، واتصل القحط بما وراء النهر، وبلاد الصين"[٤٩].
- "وفي محرم (١٠٧٨هـ/ ١٦٦٧م) جاءت الأخبار أن الفرنج طاسوا[٥٠] في البحر إلى حدود مسكت بجهة

عُمان ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم"[٥١]؛ "وفيه (جمادى الآخر (١٠٧٨هـ/ ١٦٦٧م) وقعت حروب في البحر ما بين العُماني، والفرنج بحدود بندر مسكت"[٥٢]، "وفيها (١٠٧٨هـ/ ١٦٦٧م) اتفق بين الجند العُماني والرتقال حرب بالبحر، ورجع الفرنج من باب المندب، بعد أن لبثوا فيه نحو ثلاثة أشهر"[٥٣].

- "وفي هذه الأيام (١٠٧٩هـ/ ١٦٦٨م) غزى صاحب عُمان إلى بندر الديو، وهي مصالحة للفرنج، وطرقه من طريق البحر الزخار، واستغفل من فيه من التجار، فانتهب ما فيه من الرغائب، وشحن به بطون المراكب، وانقلب إلى بلاده، وفي جماعة من المسلمين ذهبت أموالهم، وانتهكت أحوالهم"[٥٤].
- "وفي غرة ذي الحجة (١٠٧٩هـ/ ١٦٦٨م) تعرض العُمانيون بساحل عدن والمُخا للانتهاب، ووقعوا من مرادهم على ثلاثة جلاب، وهي مما وصل الفرنج إلى باب الفرضة، وكافح الفرنج عن أموالهم فهلك بالقتل منهم جماعة، وعجز نائب المُخا دفعهم لكثرتهم فإنهم وصلوا إلى هنالك في سبع براش، وكان قد جلب عليهم بغوائر من زبيد وغيره، واستدعى من الإمام زيادة من العسكر المختارة، فلم يصلوا إلا وقد انفصلوا، واتصلوا من الأموال بما اتصلوا، فضعف البندر بسبب هذه الخارجة، وتوجه بعض المراكب إلى جدة"[٥٥].
- "وفي هذه الأيام (١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م) طاس جماعة من أولئك العُمانيين إلى جيزان، في أثر مركب بايزيد لأنه جاوز المُخا، فتبعوه ظنًا منهم أنهم سيعودون به ففاتهم إلى جدة"[٥٦].
- "وفيها (١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م) جاءت أخبار حضرموت بأن عشرين برشة من الفرنج غزوا بلاد العُماني، مكافأة لمغزاه الماضي إلى الديو، فدخلوا أطراف بلاده، وسواحلها وانتهبوا فيها، وقتلوا من أصحابه فوق عشرين نفسًا"[٥٧].
- "وفي ربيع الأول (١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م) وصل إلى الإمام مكتوب[٥٨] من ملك عُمان سلطان بن سيف ولفظه: من إمام المسلمين، سلطان بن سيف، رأس العرب اليعربي، إلى عالي ذروة جناب المعظم، الهمام المكرم، إسماعيل بن القاسم، القرشي العربي، أما بعد فإنا نحمد الله على سوابغ آلائه، وجميل صنعه وبلائه، ونسترشده إلى سلوك سبيل رضاه"[٥٩].
- "وفي هذه الأيام (١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م) اتفق بين العُماني والفرنج في البحر قتال شديد، وكان ربح النصر في مبادئه مع جند العُماني، ثم عطف الفرنج عليهم فقتلوا منهم زهاء مائتي نفر، وانهزم الباقون، وثبت الفرنج في البحر يعوثون أيامًا حتى خرج منهم من خرج إلى المُخا"[٦٠].
- "منازلة الفرنج لبندر المُخا"[٦١] (١٠٨١هـ/ ١٦٧٠م) (يثبت ابن الوزير الكثير من الأحداث عن هجوم البرتغاليين على سواحل اليمن وبالتحديد المُخا) وهو ما يؤكده: "وفيها شمّر الهمة حاكم المُخا في عمارة القلاع المُخاوية، تحرزًا من فعلات الفرنج الملاعين، مع اعتيادهم للوصول في كل حين"[٦٢].
- "وفي صفر أو ربيع (١٠٨١هـ/ ١٦٧٠م) عند رجوع الفرنج من باب المندب، وافقوا جماعة من تجار الحسا وعُمان، في مرسا بروم، ما بين الشحر وأحور، وفيهم من عسكر العُماني نحو ثلاث مائة نفر، فألجأوهم إلى الهرب إلى بروم، بعد أن انكسر غرابهم المشؤوم وتركوا لهم مراكبهم بتفاريقه، فلم يتمكن الفرنج من غير تحريقه لأن العسكر العُماني رما عليه فما جسرت الفرنج تصل إليه، ولم يذهب ما لمرماه غير واحد من العُمانيين"[٦٣].
- "وفي هذه الأيام (١٠٨١هـ/ ١٦٧٠م) بعث صاحب عُمان إلى حاكم المُخا بألفي رطل من الرصاص معونة له في دفع الفرتقال[٦٤]"[٦٥].
- "وفي هذه الأيام (١٠٨٢هـ/ ١٦٧١م) دخل الفرنج إلى جزيرة سقطرى، من بلاد المهري فصالحهم لعدم القدرة على حربهم، وسكنوا منها بمكان يقال له قشن"[٦٦].
- "وفي آخر ربيع الأول (١٠٩٠هـ/ ١٦٧٩م) وصل أول المراكب الهندية إلى المُخا وكان قد تلقاهم أصحاب العُماني بباب المندب فعشروهم فيه"[٦٧]، "وفي هذا الشهر (شعبان ١٠٩٠هـ/ سبتمبر ١٦٧٩م) وصل الخبر بأن سلطان بن سيف، ملك العُمانيين قُبض ببلاده، وقعد في كرسي ملكه بعض أولاده"[٦٨].

تلك كانت أبرز النصوص التي أوردها ابن الوزير في كتابه تاريخ طُبُق الحلوى وصحاف المن والسلوى، وهي تقدم صورة دقيقة للجهود العُمانية التي بُذلت في ملاحقة البرتغاليين وحماية السواحل اليمنية من هجمات البرتغاليين. ومن الملاحظ أن المصادر اليمنية أكثر استفاضة في ذكر أخبار العُمانيين في ملاحقتهم للبرتغاليين، كما أن المصادر اليمنية تذهب إلى أن سنة تحرير مسقط من البرتغاليين في عام ١٦٤٥م[٦٩]، في حين أن المصادر العُمانية تذكر بأنها في عام ١٦٥٠م ونرى بأن الأدق هو عام ١٦٥٠م وبالتحديد في ٢٣ يناير وهو ما تدعمه الوثائق البرتغالية كذلك[٧٠].

ثانيًا: العلاقات العُمانية اليمنية في عهد الإمام سلطان بن سيف اليعربي

عاصرت دولة اليعاربة في عُمان دولة الإمامة الزيدية في اليمن. ولم تشهد بين الجانبين علاقات سياسية في عهد الإمام ناصر بن مرشد اليعربي؛ لكن عهد الإمام سلطان بن سيف اليعربي شهد تطورات مهمة بين الجانبين وهذه التطورات في العلاقة كان سببها الرئيس كما يبدو هو سياسة اليعاربة تجاه البرتغاليين، حيث انتهج اليعاربة في عهد الإمام سلطان بن سيف سياسة تتبع البرتغاليين في البحر الأحمر والمحيط الهندي لاسيما بعد الانتصار العُماني بطرد البرتغاليين من مسقط وتحرير البلاد بشكل نهائي من المحتل البرتغالي. وتوجد الكثير من الأسباب التي جعلت من البحر الأحمر منطقة صراع بين العُمانيين والبرتغاليين، وهي في جوهرها تفسر سبب تمسك كلا الطرفين بهذه المنطقة، فأهمية البحر الأحمر للبرتغاليين تكمن في[٧١]:

١. ظهور مجموعة من القوى المنافسة للبرتغاليين ولتجارتهم في المنطقة، سواء كانت قوى محلية كالدولة القاسمية في اليمن، أو قوى دولية مثل إنجلترا أو هولندا.
٢. أهمية جنوب الجزيرة العربية ومدخل البحر الأحمر كونه يمثل طريقًا للأسطول العُماني القادم من عُمان والمتجه لشرق إفريقيا لمهاجمة مستعمرات البرتغاليين، فأراد البرتغاليين استعماله كنقطة لتخفيف الضغط العُماني على مراكزهم في شرق أفريقيا.

أما أهمية البحر الأحمر للعُمانيين فتكمن في[٧٢]:

١. تنفيذًا لسياسة الجهاد الإسلامي التي انتهجها العُمانيون ضد البرتغاليين في المنطقة.
٢. وقوع البحر الأحمر على طريق الأسطول العُماني المتجه إلى مستعمرات البرتغاليين في شرق أفريقيا؛ لذلك كان لا بد من تأمين تلك الطرق.

وهذه السياسة العُمانية في تتبع البرتغاليين لم تجد تأييد أو استحسان من قبل الزيديين في اليمن والسبب في ذلك أن الصراع بين البرتغاليين والعُمانيين أدى إلى عدم الاستقرار في مياه البحر الأحمر والمحيط الهندي وكان من نتائجه استهداف البرتغاليين للسفن العربية عموما-بما فيها السفن اليمنية- والسفن العُمانية خصوصا مما سبب معاناة كبرى للزيديين الذين لم يبنوا أي أسطول أو قوة بحرية[٧٣]. وكانت هنالك بعض الحوادث بين الجانبين بسبب تتبع العُمانيون للسفن البرتغالية في البحر الأحمر. ففي عام ١٦٦٨م قام الأسطول العُماني بسبع سفن كبيرة باعتراض ثلاث سفن شراعية كبيرة تابعة للفرنسيين قرب شواطئ عدن، وتم الاشتباك بين الطرفين وكانت النتيجة وقوع قتلى فرنسيين. حاول نائب المُخا صد القوات العُمانية؛ لكنه فشل لكبر عدد القوات العُمانية وطلب نائب المُخا من الإمام اليمني المتوكل إسماعيل بن القاسم (١٦٤٤-١٦٧٦م) بإرسال قوات ومتطوعين لدعمه؛ لكن الإمداد وصل متأخرا وذلك بعد عودة العُمانيين محملين غنائم وافرة[٧٤]. وهذه الرواية يذكرها ابن الوزير: "وفي غرة ذي الحجة ١٠٧٩هـ/ ١٦٦٨م تعرض العُمانيون بساحل عدن والمُخا للانتهاب، ووقعوا من مرادهم على ثلاثة جلاب، وهي مما وصل الفرنج إلى باب الفرضة، وكافح الفرنج عن أموالهم فهلك بالقتل منهم جماعة، وعجز نائب المُخا دفعهم لكثرتهم فإنهم وصلوا إلى هنالك في سبع براش، وكان قد جلب عليهم بغوائر من زبيد وغيره، واستدعى من الإمام زيادة من العسكر المختارة، فلم يصلوا إلا وقد انفصلوا، واتصلوا من الأموال بما اتصلوا،

فضعف البندر بسبب هذه الخارجة، وتوجه بعض المراكب إلى جدة"[٧٥].

وفي عام ١٦٦٩م أرسل الإمام سلطان بن سيف رسالة إلى الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم، هذه الرسالة وردت في المصادر العُمانية واليمنية[٧٦]. ففي المصادر العُمانية وردت عند المؤرخ السالمي في تحفة الأعيان، ونص الرسالة كاملة في كتابه[٧٧]، ومما جاء فيها: "وهذا كتاب منه إلى ملك صنعاء اليمن: بسم الله الرحمن الرحيم. من إمام المسلمين سلطان بن سيف بن مالك رأس العرب اليعربي العربي العُماني إلى عالي ذروة الجناب المعظم الهمام المكرم إسماعيل بن القاسم القرشي العربي"[٧٨]. ومن قراءة مسار الأحداث يبدو أن الإمام المتوكل كان قد بعث رسالة إلى الإمام سلطان بن سيف اليعربي يستوضح منه حقيقة الغارة العُمانية على سواحل المُخا وأسبابها؛ لكن المركب الذي كان يقل حامل الرسالة غرق، واستطاع حاملها نقل مضمون الرسالة بشكل شفوي للإمام سلطان بن سيف اليعربي.

وبالعودة إلى رسالة الإمام سلطان بن سيف يظهر منها أن الإمام المتوكل عاتب عليه بسبب انتهاك مياهه من قبل السفن العُمانية التي كانت تطارد البرتغاليين في مياه البحر الأحمر والمحيط الهندي، وجاء رد الإمام سلطان بن سيف موضحًا أن سياسة العُمانيين في هذه المرحلة موجهة ضد البرتغاليين أينما وجدوا، وأنه يتفهم عتاب وضيق الإمام المتوكل من هذا الأمر-انتهاك حرمة مياهه الوطنية- فيذكر الإمام سلطان في رسالته: "... واتضح لنا من واضح نطقه وبيانه أنكم علينا عاتبون، ومنا واجدون، لأجل قطع خدامنا في العام الماضي مراكب رقاب المشركين (يقصد البرتغاليين) على بابكم، وأخذهم لسفنهم الواردة لجنابكم، ولعمري إنا لندري أن العتاب بين الأخلاء عنوان المودة الخالصة... فأنا لم نقصد إلى انتهاك ذلك سبيلاً"[٧٩].

كما لم تخل الرسالة من لهجة التهديد والتحذير من قبل الإمام سلطان للإمام المتوكل في حال قام باعتراض السفن العُمانية، فجاء في الرسالة: "أنت تدري ما جرى بيننا وبينهم... من قبل في سواحل عُمان وفي سائر الأماكن والبلدان، وإنا لنأخذهم في كل موضع تحل به مراكبهم وتغشاه، حتى من كنج وجيرون وبندري الشاه (يقصد بندر عباس) ولم يظهر لنا من أجل ذلك عتابًا ولا نكيرًا... وإنا لك من المنذرين وعليك من المحذرين..."[٨٠]. كما يتضح من هذه الرسالة أن الإمام سلطان غاضب من الهجوم الذي قام به السلطان الكثيري على ظفار، والذي نتج عنه خروج والي (عامل) الإمام سلطان تاركًا وراءه مدفعًا قام رعايا الإمام المتوكل بالاستيلاء عليه، لهذا طالبه الإمام سلطان بإرجاع المدفع إليه. كما وجه له دعوة لإصلاح ذات البين بينهما، قائلاً: "إنا في إصلاح ذات بيننا وبينكم راغبون طالبون"[٨١]. ويصف ابن الوزير رسالة الإمام سلطان بن سيف إلى المتوكل: "وفيه من رئاسة الألفاظ، وتخيّر كلمات الأنفة... وهذه صناعة فحول الملوك على أيدي أكابر الدولة وبلغائها فإن من البيان لسحرا"[٨٢].

وكان لهذه الرسالة ردها من قبل الإمام المتوكل، حيث أرسل رسالة شديدة اللهجة، مما جاء فيها: "بسم الله الرحمن الرحيم: من شمس سماء الخلافة العلية، ومضرب سرادقات الشريعة المحمدية إلى قاضية أرض الملك المالك سلطان بن سيف بن مالك اليعربي العربي العُماني أراه الله نهج الهداية وجنبه مسلك الضلال والغواية. أما بعد: حمدا لله والصلاة والسلام على نبيه الأمين وعلى وصيه الأترع البطين الحاصد سيفه رؤوس المارقين؛ وقد وصل كتابك الذي شحنته بالأبراق والأرعاد وعدلت به من تحسين العتاب إلى تخشين الخطاب، ظنًا منك أن هذيان وعيدك وطنين ذباب تهديدك يزعزع من بأسنا صخرة صماء أو يحرك من وقارنا جبلاً أشما فكيف يكون ذلك"[٨٣].

ومما يبدو من رسالة الإمام المتوكل إلى الإمام سلطان بن سيف اليعربي عدم رغبة الإمام المتوكل بإصلاح ذات البين، ولم يدفع نجاح العُمانيين في انتصاراتهم الكبيرة ضد البرتغاليين في عُمان والخليج وشرق أفريقيا إلا رد فعل سلبي من قبل الإمام المتوكل بالرغم من تعرض اليمن لهجمات برتغالية هددت المُخا وعدن؛ لكن الإمام المتوكل لم ينسق جهوده مع العُمانيين للقضاء على العدو المشترك، وتحمل العُمانيون وحدهم عبء الجهاد ضد البرتغاليين. ويذكر السالمي أنه لم يقف على جواب الامام سلطان بن سيف اليعربي على هذه الرسالة.

كما شهد أواخر حكم الإمام سلطان بن سيف اليعربي حادثة قرب ميناء المُخا اليمني، ففي الحادي عشر من مايو عام ١٦٧٩م رست سفينة هندية قام العُمانيون باعتراضها واحتجازها في الميناء. وفي الشهر التالي حقق العُمانيون نصرًا آخر عندما اعترضوا السفينة (ماشليفتان) التي وصلت إلى سواحل عدن، ولم يستطع عامل عدن الشيخ راجع من نجدة طاقم السفينة، الذين طلبوا نجدة الشيخ راجع بدعمهم ليلاً بالرجال، خوفًا من هجوم عُماني؛ لكن العُمانيين نجحوا في سحب السفينة بالكلايب إلى الشاطئ[٨٤]. يذكر ابن الوزير تلك الحوادث: "وفي آخر ربيع الأول (١٠٩٠هـ/ ١٦٧٩م) وصل أول المراكب الهندية إلى المُخا وكان قد تلقاهم أصحاب العُماني بباب المندب فعشروهم فيه"[٨٥]، "وفي هذا الشهر (شعبان ١٠٩٠هـ/ سبتمبر ١٦٧٩م) وصل الخبر بأن سلطان بن سيف، ملك العُمانيين قُبض ببلاده، وقعد في كرسي ملكه بعض أولاده"[٨٦].

ولعل أوضح إشارة للانتصارات التي حققها الإمام سلطان بن سيف اليعربي في جهات متفرقة من اليمن، ما أورده الشاعر الشيخ خلف بن سنان الغافري[٨٧] في قصيدة يذكر فيها فتوحات الإمام، مما جاء فيها[٨٨]:

ولدى زنجبار زمجر فيهم
رعد زجر لم ينج منه اعتصام
وببمبى نابهم منه نـــاب
لم ينبه عن المضي انهتـــام
وكذا في مخا قد امتخ منهم
أعظمًا قبل ضيمه لا تضـــام
وانثنى منهم بعدة أفــلاك
تراءى كأنــها أعـــــلام
ولدى بــاب مندم كــم دم طل
ومال آماله الصمصـــام

تُوفى الإمام إسماعيل بن القاسم في عام (١٠٨٧هـ/ ١٦٧٦م) وتولى الحكم بعده ابن أخيه الإمام أحمد بن الحسن بن القاسم (١٠٨٧- ١٠٩٢هـ/ ١٦٧٦-١٦٨١م)، واستمرت المراسلات بين الإمام سلطان بن سيف اليعربي وأئمة اليمن. حيث أرسل الإمام سلطان بن سيف رسالة تعزية لابن الإمام إسماعيل يعزيه فيها بوفاة والده، فيذكر ابن القاسم: "وفي شهر محرم (١٠٨٨هـ/ ١٦٧٧م): وصل كتاب تعزية من أبي العرب سلطان بن سيف بن مالك اليعربي صاحب بلاد عُمان إلى محمد بن المتوكل في والده، مضمونه: أنه بلغه وفاة والده، صدّره وذكر فيه أنه بلغه قيامه في مرتبة والده وأنه استخلف خليفته ووصى في أصحابه الذين يخرجون بالبضائع العُمانية بالرعاية، فأجاب عليه محمد بن المتوكل بجواب التعزية وذكر له أن الأمر صار إلى أحمد بن الحسن"[٨٩].

كما توثق المصادر رسالة مرسلة من الإمام سلطان بن سيف إلى الإمام أحمد بن الحسن بن القاسم مما جاء فيها: "من إمام المسلمين: سلطان بن سيف بن مالك، الواثق بالله المملوك والمالك إلى أحمد بن الحسن إمام اليمن الأوسع، وصاحب المحل الأمنع والمقام الأرفع. أما بعد: فقد انتهى إلينا كتابك الشريف، الجامع بين الرفق والتعنيف، ففهمناه- بحمد الله- معناه، وعرفنا فحواه. واعلم-حفظك الملك الديان، وحسم بيننا وبينك العداوة والشنآن- أنا لما بعثنا جيشنا، ولينا عليه واليا وليا عدلا مرضيا، وأمرناه بتقوى الله، وإتباع سنة نبيه الأواه، وسلطناه على جهاد عبدة الأصنام، وقتال أعداء دين الإسلام، الذين نقضوا عهودنا، ونكثوا عقودنا، وقتلوا رجالنا، واختطفوا أموالنا، وحكم ذو العظمة والجلال، إن دماءهم وأموالهم حلال، حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، أو يفنى منهم الأولون والآخرون، وإن قلت مقالة إسماعيل [بن] القاسم، إنك قد أمنتهم، وأن المسلمين يد على من سواهم، يسعى بذمتهم أدناهم، فليس لك أن تؤمن من هو مقيم على حرب المسلمين، واختطاف أموال المؤمنين"[٩٠]. هذا وتُوفى الإمام سلطان بن سيف اليعربي في ١٦ ذي القعدة ١٠٩٠هـ/ ١٨ ديسمبر ١٦٧٩م، فكانت مدة إمامته ٤١ سنة و٧ أشهر و٥ أيام، وبُويع بالإمامة من بعده لابنه بلعرب (١٠٩٠-١١٠٤هـ/١٦٧٩-١٦٩٢م)[٩١].

والجدير بالذكر أن علاقات الإمام سلطان بن سيف مع اليمن في تلك الفترة لم تكن مقصورة على النشاط العسكري، فيذكر ابن رُزيق أن الإمام سلطان كانت له تجارة مع صنعاء[٩٢]. ويذكر ابن الوزير جانب من تلك العلاقات التجارية، فيذكر في أحداث سنة (١٠٧٧هـ/

١٦٦٦م): "وفيها أُخبر تجار عُمان الواصلون إلى اليمن، إنه قد برز أمر السلطان صاحب القسطنطينية بالتجهيز على حسين باشا صاحب البصرة"[٩٣]. كما يوثق ابن الوزير مساعدة العُمانيين لليمنيين بالسلاح لصد البرتغاليين، فيذكر في أحداث سنة (١٠٨١هـ/ ١٦٧٠م): "وفي هذه الأيام بعث صاحب عُمان إلى حاكم المُخا بألفي رطل من الرصاص معونة له في دفع الفرتقال"[٩٤]. وهذا يؤكد العلاقات الطيبة بين الجانبين وسمو الهدف العُماني في الجهاد ضد البرتغاليين.

كما يذكر كتاب يوميات صنعاء في القرن ١١هـ، رسالة أرسلها الإمام سلطان بن سيف اليعربي إلى الإمام أحمد بن حسن بن القاسم في عام (١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م) حول القهوة، جاء فيها: "أن القهوة لا ينبغي استعمالها وأنها حرام عنده محتجًا أن فيها شبه بالإدارة بأعمال الخمر، وأنها مسكرة وأن بعض الشافعية حال خروجها أفتى بتحريمها"[٩٥]. إن موضوع القهوة يفتح مجال للدراسة كوجه آخر للعلاقات بين عُمان واليمن خلال فترة النضال العُماني ضد الاحتلال البرتغالي وهو مجال خصب إذا ما تم مناقشته من ناحية اقتصادية وفقهية[٩٦].

خَاتِمَةٌ

مما سبق يمكن القول؛ إن العلاقات العُمانية اليمنية في ظل ملاحقة العُمانيين للبرتغاليين لم تكن إيجابية على الدوام بسبب تأثير ذلك على الموانئ اليمنية، لكن الهدف العُماني كان واضحًا وتمثل في الجهاد ضد البرتغاليين وتطهير المنطقة العربية منهم وهو هدف خدم الجانب اليمني أيضًا وساهم في صد هجمات البرتغاليين باتجاه الموانئ اليمنية وهو ما توثقه المصادر اليمنية، كما أن العلاقات لم تكن متوترة على الدوام فكانت هنالك علاقات تجارية طيبة بين الجانبين. كما توضح المراسلات التي تبادلها الإمام سلطان بن سيف اليعربي مع الإمامين اللذين عاصرا فترة حكمه، الإمام إسماعيل بن القاسم والإمام أحمد بن الحسن بن القاسم أن العلاقات لم تكن عدوانية، بل كانت هناك مراسلات دبلوماسية وتجارية، وأخذت في بعض الأحيان منحى فقهي من خلال تبادل الآراء الفقهية حول مشروب القهوة، على اعتبار أن اليمن كان مصدر مهم من مصادر انتاج البُن.

وبصفة عامة، إن النضال العُماني ضد الاحتلال البرتغالي أثَّر على الموانئ اليمنية وهو ما يذكره ابن الوزير في كتابه: طُبُق الحلوى وصحاف المن والسلوى، لاسيما أن الضعف الاقتصادي كان من أهم جوانب الضعف في فترة الامامة في اليمن وهو ما انعكس سلبًا على الداخل اليمني وعلى السياسية الداخلية للإمامة الزيدية. إن النجاح الساحق الذي حققه العُمانيين في عهد اليعاربة على الاحتلال البرتغالي، أثار امتعاض الأصدقاء والأعداء، وكان لهذا الصراع آثاره السلبية على العلاقات العُمانية اليمنية وهو ما أوضحته ونقلته الرسائل المتبادلة بين الإمام سلطان بن سيف اليعربي والإمام إسماعيل بن القاسم الزيدي. كما يظهر ذلك التأثير على مؤرخي الأحداث التاريخية التي حدثت بين الجانب العُماني واليمني إبان فترة ملاحقة العُمانيون للبرتغاليين في المحيط الهندي والبحر الأحمر، وهو ما استشفه محقق كتاب ابن الوزير طُبُق الحلوى وصحاف المن والسلوى، فجاء في مقدمة التحقيق للكتاب:"... وقد كان الكاتب نفسه (يعني ابن الوزير) من أقطاب النظام فإذا علمنا أن المذهب الزيدي لم يكن مذهب أهل اليمن جميعهم وأنه كان مجرد قطرة في بحر متلاطم من المذاهب في المحيط العربي الإسلامي فإننا نكون قد كشفنا وجه التعصب وسنحس بعصبية الكاتب المذهبية حين نصل إلى تقييمه للمذاهب الأخرى ابتداء من آرائه في ابتذال أهل السنة الأتراك إلى امتعاضه من انتصار الاباضية العُمانية على المستعمرين البرتغال..."[٩٧].

عمومًا، من الملاحظ أن المصادر اليمنية أكثر استفاضة في ذكر أخبار العُمانيين في ملاحقتهم للبرتغاليين في البحر الأحمر؛ لذلك تُوصي الدراسة بأهمية الاهتمام بالمصادر اليمنية لأنها تقدم صورة عميقة وبتفاصيل كثيرة حول بطولات العُمانيين وتتبعهم للبرتغاليين في مدخل البحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي، وإجهاض كل محاولات احتلالهم للمنطقة من جديد.

الملاحق:

ملحق رقم (١)

وثيقة تاريخية

رسالة من إمام عُمان سلطان بن سيف بن مالك اليعربي (١٠٥٩-١٠٩١هـ/ ١٦٤٩-١٦٨٠م) إلى إمام اليمن المتوكل إسماعيل بن القاسم الزيدي (١٠٥٤-١٠٨٧هـ/١٦٤٤-١٦٧٦م)[٩٨].

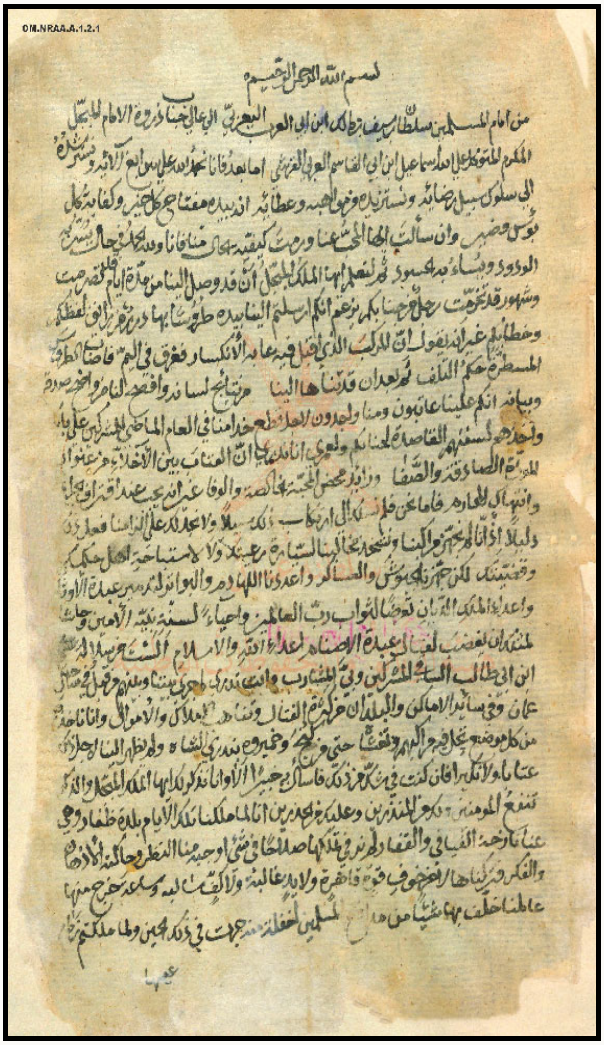

ملحق رقم (٢)

رسالة الإمام سلطان بن سيف اليعربي إلى الإمام إسماعيل بن القاسم الزيدي من كتاب تحفة الأعيان لنور الدين السالمي[٩٩]:

"وهذا كتاب منه إلى ملك صنعاء اليمن: بسم الله الرحمن الرحيم. من إمام المسلمين سلطان بن سيف بن مالك رأس العرب اليعربي العربي العُماني إلى عالي ذروة الجناب المعظم الهمام المكرم إسماعيل بن القاسم القرشي العربي. أما بعد، فانا نحمد الله على آلائه وجميل صنعه وبلائه ونسترشده إلى سلوك سبيل رضاه ونستزيده من خزائن مواهبه وعطاه أنه بيده مفاتيح كل خير وكفاية كل بؤس وضير وإن سألت أيها المحب عنا ورمت كيفية الحال منا فانا بحمد الله في حال يسر به الودود ويساء به الحسود. ثم لتعلم أيها الملك أنه قد وصل إلينا في مدة أيام قد تصرمت وشهور قد تخرمت رجل من جنابكم يزعم أنكم أرسلتم بيده طروسا بها درر من رائق لفظكم وخطابكم غير أنه يقول أن المركب الذي أقبل فيه عابه الانكسار فغرق في اليم فأدرك الطروس المسطرة حكم التلف ثم بيد أنه قد أفاه إلينا من نتائج لسانه واتضح لنا من واضح نطقه وبيانه أنكم علينا عاتبون ومنا واجدون لأجل قطع خدامنا في العام الماضي مراكب رقاب المشركين على بابكم وأخذهم لسفنهم الواردة لجنابكم ولعمري أنا لندري أن العتاب بين الأخلاء عنوان المودة الخالصة والصفاء وزائد محض المودة الصادقة والوفاء غير أنه يجب عند اقتراف الجرائم وانتهاك المحارم فانا نحن لم نقصد إلى انتهاك ذلك سبيلا ولا نجد لك على الزام فعل ذلك دليلا إذ كنا لم نجهز مراكبنا ونتخذ مخالبنا ليسارة رعيتك ولا استباحة دم أهل حكمك وقضيتك؛ ولكن جهزنا الجيوش والعساكر؛ وأعددنا اللهاذم والبواتر لتدمير عبدة الأوثان وأعداء الملك الديان تعرضا منا لرضاء رب العالمين، وإحياء لسنة نبيه الأمين، ورغبة في إدراك أجر الصابرين المجاهدين، وحاشى لمثلك أن يغضب لقتال عبدة الأصنام وأعداء الله والإسلام؛ ألست من سلالة علي بن أبي طالب الساقي للمشركين وبى المشارب، وأنت تدري بما جرى بيننا وإياهم من قبل في سواحل عُمان وفي سائر الأماكن والبلدان من سفك الدماء وكثرة الصيام وتناهب الأملاك والأموال، وإنا لنأخذهم في كل موضع تحل به مراكبهم وتغشاه حتى من كنج وجيرون بندري الشاه، ولم يظهر لنا من أجل ذلك عقابا ولا نكيرا، وإن كنت في شك من ذلك فاسأل به خبيرا أولا نذكرك أيها الملك، والذكرى تنفع المؤمنين، وإنا لك من المنذرين وعليك من المحذرين. إنا لما ملكنا تلك الأيام بلدة ظفار وهي عنا نازحة الفيافي والقفار لم نر في ملكها صلاحًا لشيء أوجبه منا النظر وحاكته الأذهان والفكر، فتركناها لا من خوف قوة قاهرة ولا كلمة علينا ظاهرة ولا يد

غالبة ولا كف سالبة، وحين ما خرج عنها عاملنا خلف خلف بها شيئا من مدافع المسلمين لغفلة جرت عن حملها في ذلك الحين ولما ملكتم أنتم زمام عيسها واجتليتم ضوء بدرها وشمسها لم تدفعوا لنا تلك المدافع كان لم يكن وراءها ذائد ولا دافع، فاعلم أيها الملك إن البعل غيور والليث هصور والحر على غير الإهانة صبور، ومن أنذر فقد أعذر وما غدر من حذر على أن في اصطلاح ذات بيننا وبينكم راغبون طالبون وفي استبقاء صحبتك راغبون ولإطفاء الفتن واخماد المحن بيننا واياك مؤثرون، فان كنت راغبا في الذي فيه رغبنا وطالبا لما له طلبنا فادفع لنا إياها ولا تحتس بسرعة الاعتداء حمياها، وإن أبيت إلا الميل إلى اغتنامها والجزم على خبط ظلامها ففي الاستعانة بالله على من اعتدى وسعة ومن كان مع الله كان الله معه وحسبنا الله ونعم الوكيل والسلام عليك ورحمة الله وبركاته".

ملحق رقم (٣)

رسالة الإمام سلطان بن سيف اليعربي إلى الإمام إسماعيل بن القاسم الزيدي من كتاب طبق الحلوى لابن الوزير[١٠٠]:

" بسم الله الرحمن الرحيم

من إمام المسلمين، سلطان بن سيف، رأس العرب اليعربي، إلى عالي ذروة جناب المعظم، الهمام المكرم، إسماعيل بن القاسم، القرشي العربي، أما بعد فإنا نحمد الله على سوابغ آلائه، وجميل صنعه وبلائه، ونسترشده إلى سلوك سبيل رضاه، ونستزيده من خزائن مواهبه وعطاه، إنه بيده مفاتيح كل خير، وكفاية كل بؤس وضير، وإن سألت أيها المحب عنا، ورمت كنه كيفية الحال منا، فإنا نحمد الله في حال يسر به الودود، ويُسأله الحسود، ثم لتعلم أيها الملك المبجل، والسيد المجلل، أنه قد وصل إلينا في مدة أيام قد تصرمت، وشهور قد تخرمت، رجل من جنابكم يزعم أنكم أرسلتم بيده طروسًا بها درر من رائق لفضكم وخطابكم، غير أنه يقول أن المركب الذي أقبل فيه عابه الانكسار فغرق في اليم، فأدرك الطروس المصطره حكم التلف، ثم بيد أنه قد تناها إلينا من نتائج لسانه، واتضح لنا من واضح نطقه وبيانه، أنكم علينا عاتبون، ومنا واجدون، لأجل قطع خدامنا في العام الماضي للمشركين على بابكم، وأخذهم لسفنهم القاصدة إلى جنابكم، ولعمري إنا ندري أن العتاب بين الأخلاء عنوان المودة الخالصة والصفاء، ورائد محض المحبة الصادقة والوفاء، غير أنه يجب عن افتراق الجرائم، وانتهاك المحارم، فأما نحن فلم نسلك إلى ارتكاب ذلك سبيلا، ولا نجد لك على إلزامنا فعل ذلك دليلا، إذ كنا لم نجهز مراكبنا، ونحشد مخالبنا، لسيارة رعيتك، ولا لاستباحة أهل حكمك وقضيتك، لكن جهزنا الجيوش والعساكر، وأعددنا اللهاذم والبواتر، لتدمير عبدة الأوثان واعدا الملك الديان، تعرضا منا لرضى رب العالمين، وإحياء لسنة نبيه الأمين، ورغبة في إدراك فضل الصابرين المجاهدين، وحاشا مثلك أن يغضب لقتال عبدة الأصنام، وأعداء الله والإسلام، الست من سلالة علي بن أبي طالب، الساقي للمشركين وبى المشارب، وأنت تدري بما جرى بيننا

وبينهم من قبل في سواحل عُمان، وفي سائر الأماكن والبلدان، من سفك الدماء وكثرة الصيال، وتناهب الأملاك والأموال، وإنا نأخذهم في كل موضع تحل به مراكبهم وتغشاه، حتى من كنح وحميروية بندرى الشاه، ولم يظهر لنا من أجل ذلك عتابا ولا نكيرا، فإن كنت في شك من ذلك فاسأل به خبيرا، إلا وإنا نذكروك أيها الملك، والذكرى تنفع المؤمنين، وإنا لك من المنذرين، وعليك من الحذرين، إنا لما ملكنا تلك الأيام بلدة ظفار، وهي عنا نازحة الفيافي والقفار، لم نر في تملكها صلاحا لشيء أوجبه منا النظر، وحاكته الأذهان والفكر، فتركناها لا من خوف قوة قاهرة، ولا لكلمة علينا ظاهرة، ولا يد غالبة، ولا كف سالبة، وساعة ما خرج منها عاملنا خَلَف خلّف بها شيئا من مدافع المسلمين، لغفلة منه جرت عن حملها في ذلك الحين ولما ملكتم أنتم زمام عنها، وأجتليتم ضوء بدرها وشمسها، لم تدفعوا إلينا تلك المدافع، كأن لم يكن من ورائها ذا يد ولا دافع، فاعلم أيها الملك أن البعل غيور، والليث هصور، والحر على غير الإهانة صبور، ومن أنذر فقد أعذر، وما غدر من حذّر، على إنا لإصلاح ذات البين بيننا وبينكم طالبون، وفي استيفاء صحبتك راغبون، ولإطفاء الفتن والإحن بيننا وبينك مؤثرون، فإن كنت راغبا في الذي فيه رغبتنا، وطالبا لما له طلبنا إخمادها، فأدفع لك الخير لنا إياها، ولا تتحسن بسرعة الاعتداء حُميّاها، وإن أبيت إلا الميل لاغتنامها، والجزم على نفس امرى على خبط ظلامها، ففي الاستعانة بالله ممن اعتدى فسحة وسعة، ومن كان مع الله كان الله معه، والسلام ورحمة الله، انتهى المكتوب بحروفه".

ملحق رقم (٤)

رسالة الإمام إسماعيل بن القاسم الزيدي ردًا على رسالة الإمام سلطان بن سيف اليعربي من كتاب تحفة الأعيان[١٠١]:

"بسم الله الرحمن الرحيم: من شمس سماء الخلافة العلية، ومضرب سرادقات الشريعة المحمدية إلى قاضية أرض الملك المالك سلطان بن سيف بن مالك اليعربي العربي العُماني أراه الله نهج الهداية وجنبه مسلك الضلال والغواية. أما بعد: حمدا لله والصلاة والسلام على نبيه الأمين وعلى وصيه الأترع البطين الحاصد سيفه رؤوس المارقين؛ وقد وصل كتابك الذي شحنته بالأبراق والأرعاد وعدلت به من تحسين العتاب إلى تخشين الخطاب، ظنا منك أن هذيان وعيدك وطنين ذباب تهديدك يزعزع من بأسنا صخرة صماء أو يحرك من وقارنا جبلا أشما فكيف يكون ذلك.

وأسيافنا في كل شرق ومغرب
بها من قراع الدارعين فلول
أين ذهب حجاؤك حتى
طلبت منا المدافع بهذه الأراجيف والبقاقع،
وإنما تقطع أعناق الرجال المطامع

أما علمت أن الليث إذا هيج على فريسة كان أشد إقداما وأعظم جرأة واعتزاما، لا جرم أنها لما تأت بنا وبك الديار وحالت دوننا الأمصار فاسترسلت لفظك فجاوزت في سوء المقدار حدك وانفردت بأرضك فطلبت الطعن والنزال وحدك.

يا سالكا بين الصوارم والقنا
إني أشم عليك رائحة الدم

فاقطع عرى آمالك عن هذه المدافع فهي أول غنيمة إن شاء الله من قطرك الشاسع؛ وقد دعوتنا على النزول على حكم الظباء والأسل=

فالبث قليلا تلحق الهيجا جمل

ونحن من القوم الذين سقوا قومك يوم النهروان كؤوس الحتوف، وأنتم أتباع من سقى، فما بدأ به أوائلنا في سلفكم، ختمنا به من بقي والسلام؛ انتهى جوابه".

ملحق رقم (٥)

رسالة من الإمام سلطان بن سيف اليعربي إلى الإمام أحمد بن الحسن بن القاسم الزيدي[١٠٢]:

"من إمام المسلمين: سلطان بن سيف بن مالك، الواثق بالله المملوك والمالك إلى أحمد بن الحسن إمام اليمن الأوسع، وصاحب المحل الأمنع والمقام الأرفع. أما بعد: فقد انتهى إلينا كتابك الشريف، الجامع بين الرفق والتعنيف، ففهمناه- بحمد الله- معناه، وعرفنا فحواه. واعلم-حفظك الملك الديان، وحسم بيننا وبينك العداوة والشنآن- أنا لما بعثنا جيشنا، ولينا عليه واليا وليا عدلا مرضيا، وأمرناه بتقوى الله، وإتباع سنة نبيه الأواه، وسلطناه على جهاد عبدة الأصنام، وقتال أعداء دين الإسلام، الذين نقضوا عهودنا، ونكثوا عقودنا، وقتلوا رجالنا، واختطفوا أموالنا، وحكم ذو العظمة والجلال، إن دماءهم وأموالهم حلال، حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، أو يفنى منهم الأولون والآخرون، وإن قلت مقالة إسماعيل [بن] القاسم، إنك قد أمنتهم، وأن المسلمين يد على من سواهم، يسعى بذمتهم أدناهم، فليس لك أن تؤمن من هو مقيم على حرب المسلمين، واختطاف أموال المؤمنين.

وأما المركب الذي ذكرت أنه للسقطي [لسقطري]، فبلغ أصحابنا أنه ميناس الأرمني، فأتوا به لنستنبىء عنه الأخبار، ثم نتبع فيه كتاب الله العزيز الجبار، فلما بلغنا أن مياسا في ذمة المسلمين، وأن متاع هذا المركب لأحد الموحدين، خلينا سبيله قبل وصول كتابك، وانتهاء خطابك.

وأما مركل إسماعيل-المذكور- وهو مركب البانيان المزبور، فلم يقصد أصحابنا جنابهما إلا ليعرفوا أربابهما، وليس عليهم جناح ولا متعبة فيمن حمله الخوف والفزع، حتى انهزم، فكسر مركبه؛ وأما الناوريتان اللتان ذكرتهما، فإن والينا الولي، وأميننا الرضي، أقر عند أربابهما أنهما لأحد من المشركين، الذين هم في ذمة .... المحاربين المسلمين وانما نحن مخاطبون بحكم الظواهر، لا بحكم البواطن والسرائر، على أنهما لم يقعا في بلادنا ولم يحصلا، بل أدركهما الغرق في البحر قبل أن يصلا، وأما المركب الذي ذكرت أنه جاء من فارقتن وقصد بندر عدن، فإن أصحابنا لم يعترضوه إلا لمعرفة أهله وتمييزه، فقتله جنودك وحشودك، لأنهم أقبلوا في زورق صغير، وأصحابك في مركب كبير، وختام الكلام والمقال: أن أصحابنا إن كانوا اقترفوا ما لا يحل من الفعال فإنا من ذلك صفر الراحة، نقي الساحة، لأني نهيتهم وزجرتهم، وخوفتهم وحذرتهم، فمن أراد منهم الإنصاف في شيء أبلغتهم إياه، وأنفذت له فيهم حكم كتاب الله. وأما قولك: إن هذا التجريء لا يجوز ولا يسوغ فعله؛ فنعوذ بالله أن نتجرأ على ملك جبار، قاضم قهار في ملكه السموات والأرض، وبيده البسط والقبض، بل سيرتنا-بحمد الله- مشهورة، وبإتباع كتاب الله وسيرة نبيه مذكورة، والفضل في ذلك راجع إلى الله، لا إلينا، وهو المسؤول أن يتم نعمته في الدنيا والآخرة".

الإحالات المرجعية:

(١) اختلف بعض المؤرخين غير العُمانيين في تاريخ جلاء البرتغاليين عن مسقط فبعضهم يذكر أنه كان عام ١٦٥٨م وبعضهم يذكر عام ١٦٤٥. على أن المتواتر لدى المؤرخين العُمانيين أن عام الجلاء والتحرير هو عام ١٦٥٠م.

(٢) آ. ر. سارجنت. **النشاط الملاحي العُماني على الساحل العربي الجنوبي**. ندوة الراسات العُمانية، م٦، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط: ١٩٨٠م، ص١١٣.

(٣) السالمي، نور الدين عبد الله بن حميد (ت: ١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م). **تُحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان**. ج٢، المطبعة السلفية، القاهرة: ١٩٢٩م، ص١٥.

(٤) السالمي، تحفة الأعيان، ج٢، ص٢٤، ٤٤.

(٥) مخطوطة لقط الآثار المؤلف بصحار نقلاً عن: البراشدي، موسى بن سالم. **الدور السياسي لعلماء عُمان خلال الفترة من ١٠٣٤هـ/ ١٦٢٤م إلى ١١٦٢هـ/ ١٧٤٩م**. ط١، الجمعية العُمانية للكتاب والأدباء، مسقط: ٢٠١٩م، ص٢٥٥.

(٦) السالمي، تحفة الأعيان، ج٢، ص٤٨.

(٧) ابن رُزيق، حميد بن حمد (ت: ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م). **الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين**. تحقيق: محمد حبيب صالح ومحمود بن مبارك السليمي، ج٢، ط٦، وزارة التراث والثقافة، مسقط: ٢٠١٦م، ص١٤٨.

(٨) ابن القاسم، يحيي بن الحسين (ت: ١٠٩٩هـ/ ١٦٨٨م). **يوميات صنعاء في القرن ١١هـ**. ٣ج، تحقيق: عبد الله بن محمد الحبشي، ج١، ط١، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي: ١٩٩٦م، ص٥٣؛ ابن الوزير، عبد الله بن علي (ت: ١١٤٧هـ/ ١٧٣٥م). **تاريخ طُبَق الحلوى وصِحاف المنِّ والسلوى**. تحقيق: محمد عبد الرحيم جازم، ط٢، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء: ٢٠٠٨م، ص٩٨.

(٩) ابن الوزير، طُبَق الحلوى، ص٩٩-١٠٠؛ الحبشي، عبد الله محمد. **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن**. المجمع الثقافي، أبو ظبي: ٢٠٠٤م، ص٦٩٨-٧٠٢.

(١٠) لمزيد من التفاصيل حول إنجازات عهد الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم، يُنظر: ابن القاسم، **يوميات صنعاء**، ج٢، ص٢٧٣-٢٧٧.

(١١) ابن الوزير، طُبَق الحلوى، ص؛ الحبشي، مصادر الفكر الإسلامي، ص٦٩٩.

(١٢) ابن القاسم، **يوميات صنعاء**، ج٢، ص٢٧٣.

(١٣) ابن القاسم، **يوميات صنعاء**، ج٢، ص٢٨٠.

(١٤) يُعَدّ كتاب **كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة** (أُلف في بداية القرن ١١هـ ومنصف القرن ١٧م) ثاني كتاب مترجم عن تاريخ عُمان بعد كتاب الفتح المبين لابن رُزيق. وتم نشره في مجلة الجمعية الآسيوية في البنغال عام ١٨٧٤م، بعنوان: "أخبار عُمان من أقدم العصور حتى عام ١٧٢٨م" ((Annals of Oman from old days until 1728

(١٥) مسكد: مسقط. وتُذكر في المصادر اليمنية (مسكت).

(١٦) الديو: موضع بالهند قرب خليج بومباي قامت فيه معركة شهيرة في سنة ١٦٧٠م بين العُمانيين بقيادة الإمام سلطان بن سيف اليعربي والبرتغاليين، وانتصر فيها العُمانيون وغنموا غنائم كثيرة. كما توجد معركة ديو البحرية بين العثمانيين والبرتغاليين ١٥٠٩م.

(١٧) الأزكوي، سرحان بن سعيد (ت: ق١٢هـ/ ١٨م). **تاريخ عُمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة**. تحقيق: عبد المجيد القيسي، ط٤، وزارة التراث والثقافة، مسقط: ٢٠٠٥م، ص١٠٧-١٠٨.

(١٨) المعولي، محمد بن عامر (ت: ١١٩٠هـ/ ١٧٧٧م). **قصص وأخبار جرت بعُمان**. تحقيق: عبد المنعم عامر، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط: ١٩٧٩م، ص١١٧-١١٨.

(١٩) ابن رُزيق، **الفتح المبين**، ج٢، ص١٤٩-١٥٥.

(٢٠) السالمي، **تحفة الأعيان**، ج١، ص٥٨-٥٩.

(٢١) الأزكوي، تاريخ **عُمان المقتبس من كشف الغمة**، ص١٠٩.

(٢٢) السالمي، **تحفة الأعيان**، ج٢، ص٤٤.

(٢٣) الحراصي، عبد الله بن ناصر. **التاريخ العُماني من خلال المصادر اليمنية**. الندوة الدولية: التبادل الحضاري العُماني اليمني ٧-٨ فبراير ٢٠١٠م، مج١، جامعة السلطان قابوس، مسقط: ٢٠١٠م.

(٢٤) يوجد أكثر من مصدر تحت نفس العنوان: تاج الدين اليماني، عبد الباقي بن عبد المجيد (ت: ٧٤٣هـ/ ١٣٤٣م). **بهجة الزمن في تاريخ اليمن**. تحقيق: مصطفى حجازي، ط٢، دار الكلمة، صنعاء: ١٩٨٥م؛ ابن القاسم، يحيي بن الحسين (ت: ١٠٩٩هـ /١٦٨٨م). **بهجة الزمن في تاريخ اليمن**. تحقيق: أمة الغفور عبد الرحمن الأمير. (نسخة إلكترونية غير مؤرخة، برنامج المكتبة الشاملة)

(٢٥) **تاريخ طُبَق الحلوى وصِحاف المنِّ والسلوى** لابن الوزير يوجد في جزءين مقسمين حسب السنوات: ج١: (١٠٤٦-١٠٨٠هـ)، وج٢: (١٠٨١-١٠٩٠هـ)

(٢٦) يذكر ابن الوزير أنه اعتمد في نقل مادة كتابه من كتاب مؤرخ آخر: "وقد اطلعت على تاريخ لبعض أبناء ملوك اليمن"، "فاعتمدت في القصص عليه وأحلت جل ما نقلته إليه". ومع أنه لم يحدد اسم الكتاب ولا المؤرخ فإن كتابه هذا تهذيب لكتاب "بهجة الزمن في حوادث اليمن" ليحيي بن الحسين الذي كتبه من قلب الأحداث التي عايشها وسمع عنها. وكتاب "بهجة الزمن" يقع في ثلاثة أجزاء ويؤرخ لليمن من ١٠٤٦-١٠٩٩هـ، بينما يقف عبد الله بن علي الوزير في كتابه عند سنة ١٠٩٠هـ دون أن يبين سبب هذا التوقف، وقد اطلعت على الجزء الأول والجزء الثاني من "بهجة الزمن" والمودع في مكتبة الجامع الكبير برقم ٤٩ فوجدته يتفق من حيث الفترة الزمنية مع الجزء الأول والجزء الثاني من هذا الكتاب ١٠٤٦-١٠٩٠هـ وكذلك في المحتوى. ورغم اعتماد المؤلف على كتاب يحيي بن الحسين إلا أن بصماته واضحة على هذا الكتاب فله تعليقاته الخاصة ومناقشاته وأسلوبه في التناول والتدوين. يُنظر مقدمة التحقيق: ابن الوزير، طُبَق الحلوى، ص٢٤، ٤٨.

(٢٧) الحراصي، **التاريخ العُماني من خلال المصادر اليمنية**، ص ٦٢.

(٢٨) الحراصي، **التاريخ العُماني من خلال المصادر اليمنية**، ص٦٣.

(٢٩) الحراصي، **التاريخ العُماني من خلال المصادر اليمنية**، ص٦٤.

(٣٠) ابن القاسم، **يوميات صنعاء**، ج١، ص٥١.

(٣١) ابن القاسم، **يوميات صنعاء**، ج١، ص٥٩-٦٠.

(٣٢) ابن القاسم، **يوميات صنعاء**، ج١، ص١١٠-١١١.

(٣٣) ابن القاسم، **يوميات صنعاء**، ج١، ص١٤٩-١٥٠.

(٣٤) ابن القاسم، **يوميات صنعاء**، ج١، ص١٥٥.

(٣٥) ابن القاسم، **يوميات صنعاء**، ج١، ص١٧٨.

(٣٦) ابن القاسم، **يوميات صنعاء**، ج١، ص١١٧.

(٣٧) ابن القاسم، **يوميات صنعاء**، ج١، ص١٢١-١٢٢.

(٣٨) ابن القاسم، **يوميات صنعاء**، ج١، ص١٢١-١٧٩.

(٣٩) ابن القاسم، **يوميات صنعاء**، ج١، ص١٨٥.

(٤٠) ابن القاسم، **يوميات صنعاء**، ج٢، ص٣١١.

(٤١) تم نشر تلك النصوص الخاصة بالصراع العُماني البرتغالي في: الحبشي، عبد الله بن محمد. البرتغاليون على ساحل البحر الأحمر، **مجلة العرب**. ع: السنة ٩، ج١و٢، دار اليمامة، الرياض: ١٩٧٤م.

(٤٢) ابن الوزير، طُبّق الحلوى، ج١، ص٨٩-٩٠.

(٤٣) هذا التاريخ يتعارض مع التاريخ الذي أوردته المصادر العُمانية عن فتح مسقط في عام ١٠٦٠هـ/ ١٦٥٠م.

(٤٤) ابن الوزير، **طُبّق الحلوى**، ج١، ص١٠٥-١٠٦.

(٤٥) ابن الوزير، **طُبّق الحلوى**، ج١، ص١٣٥.

(٤٦) ابن الوزير، **طُبّق الحلوى**، ج١، ص١٥٧.

(٤٧) ابن الوزير، **طُبّق الحلوى**، ج١، ص١٨١.

(٤٨) ابن الوزير، **طُبّق الحلوى**، ج١، ص٢١٧.

(٤٩) ابن الوزير، **طُبّق الحلوى**، ج١، ص٢٢٦.

(٥٠) طاسوا: أوغلوا

(٥١) ابن الوزير، **طُبّق الحلوى**، ج١، ص٢٢٧.

(٥٢) ابن الوزير، **طُبّق الحلوى**، ج١، ص٢٣٠.

(٥٣) ابن الوزير، **طُبّق الحلوى**، ج١، ص٢٣٢.

(٥٤) ابن الوزير، **طُبّق الحلوى**، ج١، ص٢٤٧.

(٥٥) ابن الوزير، **طُبّق الحلوى**، ج١، ص٢٥١.

(٥٦) ابن الوزير، **طُبّق الحلوى**، ج١، ص٢٥٢.

(٥٧) ابن الوزير، **طُبّق الحلوى**، ج١، ص٢٥٥.

(٥٨) نص المكتوب (الرسالة) كاملاً. يُنظر: الملاحق، ملحق رقم (٢).

(٥٩) ابن الوزير، **طُبّق الحلوى**، ج١، ص٢٥٥.

(٦٠) ابن الوزير، **طُبّق الحلوى**، ج١، ص٢٦١.

(٦١) ابن الوزير، **طُبّق الحلوى**، ج٢، ص٢٦٧-٢٧٠.

(٦٢) ابن الوزير، **طُبّق الحلوى**، ج٢، ص٢٧٢.

(٦٣) ابن الوزير، **طُبّق الحلوى**، ج٢، ص٢٧٠.

(٦٤) الفرتقال: البرتغال.

(٦٥) ابن الوزير، **طُبّق الحلوى**، ج٢، ص٢٧٦.

(٦٦) ابن الوزير، **طُبّق الحلوى**، ج٢، ص٢٨٢.

(٦٧) ابن الوزير، **طُبّق الحلوى**، ج٢، ص٣٥٩.

(٦٨) ابن الوزير، **طُبّق الحلوى**، ج٢، ص٣٦٢-٣٦٣.

(٦٩) ابن القاسم، **يوميات صنعاء**، ج١، ص٥٩-٦٠؛ ابن الوزير، **طُبّق الحلوى**، ج١، ص١٠٥-١٠٦.

(٧٠) لمزيد من التفاصيل، يُنظر: السالمي، عبد الرحمن وآخرون. **البرتغاليون في بحر عُمان بين السياسة والدين**. ١٦ مجلد، ط١، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، مسقط: ٢٠١٢م.

(٧١) التوبي، أحمد بن حميد. **المقاومة العُمانية للوجود البرتغالي في الخليج العربي والمحيط الهندي (١٥٠٧-١٦٩٨م)**. ط١، بيت الغشّام، مسقط: ٢٠١٧م، ٢٧٩-٢٨٠.

(٧٢) المرجع نفسه.

(٧٣) عبد الله، نغم طالب. **العلاقات الخارجية لدولة اليعاربة في عُمان (١٦٢٤-١٧٤٧م)**. ط٢، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد: ٢٠١٨م، ص١٢٠.

(٧٤) سارجنت، النشاط الملاحي العُماني على الساحل العربي الجنوبي، ص١١٤-١١٥.

(٧٥) ابن الوزير، **طُبّق الحلوى**، ج١، ص٢٥١.

(٧٦) ابن الوزير، طبق الحلوى، ج١، ص٢٥٥-٢٥٧؛ البطاشي، سيف بن حمود (ت: ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م). **إيقاظ الوسنان في شعر وترجمة الشيخ خلف بن سنان**. ط١، مكتبة السيد محمد بن حمد البوسعيدي، السيب: ١٩٩٥م، ص٤٠-٤٢؛ الهاشمي، سعيد بن محمد. **مصادر التاريخ العُماني الحديث والمعاصر دراسة مسحية وصفية**. ط١، دار الفرقد، دمشق: ٢٠١٧ م، ص٩٤-٩٦.

(٧٧) السالمي، تحفة الأعيان، ج٢، ص٥٦-٦٠.

(٧٨) نص الرسالة كاملاً. يُنظر: الملاحق، ملحق رقم (٣).

(٧٩) يُنظر الملاحق: ملحق رقم (٣).

(٨٠) يُنظر الملاحق: ملحق رقم (٣).

(٨١) يُنظر الملاحق: ملحق رقم (٣).

(٨٢) ابن الوزير، **طبق الحلوى**، ج١، ص٢٥٧.

(٨٣) السالمي، **تحفة الأعيان**، ج٢، ص٥٨-٥٩.

(٨٤) سارجنت، النشاط الملاحي العُماني على الساحل العربي الجنوبي، ص١٢٠-١٢١.

(٨٥) ابن الوزير، **طُبّق الحلوى**، ج٢، ص٣٥٩.

(٨٦) ابن الوزير، **طُبّق الحلوى**، ج٢، ص٣٦٢-٣٦٣.

(٨٧) هو الشيخ خلف بن سنان بن خلفان بن عثيم الغافري (ت: ١١٢٥هـ/ ١٧١٣م). قاضي، ووالي وفقيه وشاعر. وُلد في بلدة المعمور في ولاية نزوى، ودرس في مدرسة جبرين. كان من العلماء الذي عقدوا البيعة للإمام سلطان بن سيف بن سلطان اليعربي (الثاني) سنة ١١٢٣هـ/ ١٧١١م. له ديوان مطبوع بعنوان: "إيقاظ الوسنان في شعر وترجمة خلف بن سنان"، وكتاب اسمه: (عالم الكشف). تُوفى هن عمر يناهز التسعين عاماً في عام ١١٢٥هـ/ ١٧١٣م. يُنظر: بدوي وآخرون. **دليل أعلام عُمان**. ط١، مسقط: جامعة السلطان قابوس، ١٩٩١م، ص٥٨؛ ابن رُزيق، الفتح المبين، ج٢، ص١٥٩؛ البطاشي، سيف بن حمود (ت: ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م). **إيقاظ الوسنان في شعر وترجمة الشيخ خلف بن سنان**. ط١، مكتبة السيد محمد بن حمد البوسعيدي، السيب: 1995م.

(٨٨) السالمي، **تحفة الأعيان**، ج٢، ص٦٠-٦٢.

(٨٩) ابن القاسم، **يوميات صنعاء**، ج٢، ص٣١١.

(٩٠) الهاشمي، مصادر التاريخ العُماني، ص٩٧-٩٨.

(٩١)الأزكوي، تاريخ عُمان المقتبس من كشف الغمة، ص١٠٩م؛ المعولي، قصص وأخبار، ص١١٨؛ السالمي، تحفة الأعيان، ج٢، ص٤٦، ٧٤.

(٩٢) ابن رُزيق، الفتح المبين، ج٢، ص١٥٧.

(٩٣) ابن الوزير، **طُبّق الحلوى**، ج١، ص٢١٧.

(٩٤) ابن الوزير، **طُبّق الحلوى**، ج٢، ص٢٧٦.

(٩٥) ابن القاسم، **يوميات صنعاء**، ص٣٣٩.

(٩٦) لمزيد من التوسع حول القهوة يُنظر: الجهورية، أحلام بنت حمود. **القهوة جدلٌ فقهي ومكانة اقتصادية**. منشور في: **قراءات في التاريخ الاقتصادي العُماني: السلع العُمانية أنموذجاً**، ط١، الآن ناشرون وموزعون، الجمعية العُمانية للكتاب والأدباء، مسقط: ٢٠٢٠م، ص١٥-٥٢.

(٩٧) ابن الوزير، **طُبّق الحلوى**، ج١، ص١١.

(٩٨) المصدر: هيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية، الرمز المرجعي: OM.NRAA.A.1.2.1(1)

(٩٩) السالمي، **تحفة الأعيان**، ج٢، ص٥٦-٥٧.

(١٠٠) ابن الوزير، **طبق الحلوى**، ج١، ص٢٥٥-٢٥٧. (توجد أخطاء لغوية لكن نقلنا النص كما ورد عند ابن الوزير)

(١٠١) السالمي، **تحفة الأعيان**، ج١، ص٥٨-٥٩.

(١٠٢) الهاشمي، **مصادر التاريخ العُماني**، ص٩٧-٩٨.